المسائل اللغوية في المسلك السهل لمحمد الإفراني

بوطاهر بوسدر

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب، سايس، فاس، المغرب

abo_omar2010@hotmail.com

ORCID. 0000-0002-9135-2081

الملخص

لقد اهتم علماء المغرب اهتمامًا كبيرًا بشرح المتون الشعرية، ومنها توشيح ابن سهل الأندلسي، الذي شرحه محمد الإفراني. ويهدف هذا البحث إلى التعرف على ما أثاره الإفراني من مسائل لغوية في شرحه هذا. وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج منها غنى شرح الإفراني لتوشيح ابن سهل بالمسائل اللغوية، ومنها أن الإفراني تعرض بإيجاز للعديد من هذه المسائل، وأنّه سار على نهج النحاة القدماء في آرائه المختلفة.

ABSTRACT

Moroccan scholars have paid great attention to explaining poetic texts, including the Tawshih of Ibn Sahl Al-Andalusi, which was explained by Muhammad Al-Ifrani. This research aims to identify the linguistic issues that Al-Ifrani discussed in his explanation. It relied on the descriptive and analytical approach, and reached a set of results, including that Al-Ifrani's explanation was rich in linguistic issues, and that Al-Ifrani discussed these issues briefly, and that he followed in his opinions the scholars who preceded him.

الكلمات المفاتيح: المسائل اللغوية، محمد الإفراني، المسلك السهل، توشيح ابن سهل.

مقدمة

لقد اهتم علماء المغرب بشرح المتون الشعرية، وتعد الموشحات من بين المتون الأندلسية التي لاقت اهتمام المغاربة، ومنها توشيح ابن سهل الأندلسي، الذي شرحه محمد الصغير الإفراني، وهذا الشرح كغيره من الشروح الشعرية يتجاوز شرح المعنى ليتطرق إلى العديد من المسائل اللغوية المختلفة. وهذا ما سيحاول هذا البحث الوقوف عليه، وهو ينطلق من إشكالية تحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية: هل في المسلك السهل مادة لغوية تستحق الدراسة؟ وما هي أهم المسائل اللغوية التي ناقشها الإفراني في كتابه؟ وهل قدَّم جديدًا حول تلك المسائل أم اكتفى بالنقل من السابقين؟ وتنبع أهمية البحث من كونه سيسلط الضوء على مساهمة كتب الشروح الشعرية في البحث اللغوي بشكل عام. ومن هنا فإن الهدف الأساسي للبحث هو إبراز القيمة المعرفية لما قدمه الإفراني في هذا الشرح، وإبراز مساهمته في البحث اللغوي من خلال ذلك. وينطلق هذا البحث من عدة فرضيات منها، أن المسلك السهل غني بالمسائل اللغوية كغيره من الشروح الشعرية، وأن طبيعة الشرح تفرض عدم الغوص في تحليل المسائل والاكتفاء بالإشارة إليها. ومنها أيضًا اطلاع الإفراني على علوم اللغة وتمكنه منها، مع اعتماده على من سبقه.

وقد تناولت العديد من الدراسات موضوع المسائل اللغوية في متون مختلفة كالتفاسير القرآنية والشروح الشعرية والمعاجم اللغوية، وقد وقفت على بحثين تطرقا إلى عمل محمد الإفراني في المسلك السهل، وهما:

- الآراء النحوية للإفراني في المسلك السهل ومناقشتها، صلاح عبد الله حسن أبو يحيى، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج46، ع1، 2019م.
- تطالب المطالب وتشابك المسائل في شرح الإفراني لتوشيح ابن سهل، مولاي علي سليماني، مجلة السوسيولسانيات وتحليل الخطاب، مج6، ع1، 2020م.

وتتقاطع هاتان الدراستان مع هذا البحث؛ لأنهما تتعرضان لما قدَّمه الإفراني في المسلك السهل، ولكنه يختلف عنهما؛ لأن البحث الأول يتناول الجانب النحوي دون غيره من الجوانب اللغوية الأخرى، أما البحث الثاني فيتناول منهج الإفراني في شرحه، أما هذا البحث فإنَّه يركز على الجانب الصرفي والمعجمي في المسلك السهل.

وقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث، وقسَّمته إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، فالتمهيد تطرق للحديث عن الإفراني ومؤلفاته ومنهجه في المسلك السهل. أما المباحث الثلاثة فقد تطرقت للمسائل اللغوية في المسلك السهل، وهي المسائل الصرفية والمعجمية ومسائل أخرى.

التمهيد: الإفراني ومنهجه في المسلك السهل:

هو محمد بن محمد بن عبد الله، أصله من مدينة إفران بالمغرب الأقصى، ولكنه ولد بمراكش، ولقّب بالصغير فاشتهر بمحمد الصغير الإفراني. ولم تحدد المصادر وكتب التراجم سنة ولادته، فجاء أنه ولد سنة 1080هـ تقريبا، والأمر نفسه بالنسبة لسنة الوفاة، حيث جاء أنه توفي بعد 1155هـ[1]. وقد سلك الإفراني طريق العلم، وتتلمذ على يد مجموعة من شيوخ مراكش، قبل أن يرحل إلى فاس؛ لاستكمال رحلته العلمية على يد مجموعة من شيوخها. وقد كان الإفراني متعدد الاهتمامات، موسوعي المعرفة، درس عدة علوم ونبغ فيها، فعُرف بأنه مؤرخ وأديب ونحوي ولغوي، وتشهد مؤلفاته على موسوعيته فقد ألّف في العديد من أبواب المعرفة، ومن ذلك[2]:

- الفقه: "فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث"
- التاريخ والتراجم: "نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي"، و"صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر"، و"روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف"، و"درر الحجال في سبعة رجال".
- الأدب: "الإفادات والإشادات"، و"المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل".

وقد ألف الإفراني كتابه المسلك السهل عندما كان شابًا في مرحلة طلب العلم، فقد قال عنه: "وهو أول مجموع أبرزته في قالب التصنيف...مع كوني في إبان الحداثة، التي الغالب على صاحبها ألا يميز الاثنين من الثلاثة، لم أبلغ من البلاغة أشدي، ولا ثبت عند قضاة الأدب رشدي"[3]. وقد بدأه بمقدمة طويلة، عرّف فيها بابن سهل، كما عرّف بالتوشيح والموشحات، وناقش العديد من القضايا المرتبطة بالتوشيح، كما ذكر في بداية هذه المقدمة منهجه في الشرح، وتجدر الإشارة أولا إلى تعدد اتجاهات شراح الشعر في التراث العربي حسب الجانب المهين في الشرح، فمن "الشارحين من تطغى على مصنفاته واحدة أو اثنتان أو ثلاث من مسائل الشرح، اللغوية والنحوية والتاريخية والبلاغية والنقدية..."[4]. وبذلك ظهرت عدة اتجاهات في الشرح منها الاتجاه التاريخي واللغوي والنحوي والنقدي والبلاغي[5]، أما الشرح الذي تظهر فيه كل هذه المستويات؛ فيسمى بالاتجاه التكاملي. ويعد المسلك السهل من الشروح الشعرية التي تمثل الاتجاه التكاملي، حيث اعتمد الإفراني في شرحه على منهج محدد الخطوات سار عليه في شرح كل بيت من أبيات توشيح ابن سهل، مما جعل شرحه ينتمي لشروح المستويات الثابتة، وهي الشروح التي تعتمد في عملية الشرح على مجموعة من الجوانب التي تتكرر في كل وحدة من وحدات الشرح[6]. أما المستويات التي اعتمد عليها الإفراني في شرحه؛ فهي: اللغة(المعجم)، والمعنى (المعنى العام للبيت الشعري)، والمعاني(مسائل علم المعاني)، والبيان، والبديع، والإعراب. وقد تجاوز الإفراني هذه المستويات، وملأ المسلك السهل بالاستشهادات الشعرية واللطائف والرقائق والفوائد اللغوية والاستطرادات والقصص والإشارات الفلسفية والمنطقية والدينية والجغرافية والعلمية، مما يعكس موسوعيته.

المبحث الأول: المسائل الصرفية في المسلك السهل

المسألة الأولى: دلالة الصيغ الصرفية

تنقسم الأفعال والأسماء في اللغة العربية إلى قسمين: أفعال وأسماء مجردة، وأفعال وأسماء مزيدة، فالأولى: هي التي تتكون من الحروف الأصلية دون زيادة، كخرج وقمر، والثانية: هي ما زاد فيها حرف أو أكثر على حروفها الأصلية كأخرج واستخرج واجتماع. وهذه الزيادة تكون لأغراض كثيرة أهمها إفادة معنى جديد، وهو ما يعرف بزيادة المعنى لزيادة المبنى، وقد أكد الإفراني في المسلك السهل أن كثرة الحروف في الكلمة تدل على كثرة المعنى، فهو يقول إنّ الاشتياق "أقوى من الشوق؛ لأن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى"[7]. ويتأكد قول الإفراني بزيادة المعنى لزيادة المبنى بوقوفه على دلالة صيغ الأفعال، ومن أمثلة ذلك:

1. **دلالة صيغة أفعل**: لهذه الصيغة عدة دلالات منها التعدية والصيرورة والدخول في الزمان والمكان والسلب والجعل[8]، وقد أشار الإفراني إلى بعض الدلالات وهي:

- **الجعل والصيرورة**: ومعناهما تحويل الشيء من حالة إلى أخرى، وتُعرف بأنها "صيرورة شيءٍ ذا شيءٍ، كألبنَ الرجلُ وأتمَر وأفلسَ: صار ذا لبَن وتمْر وفُلُوس"[9]، ومثال ذلك عند الإفراني قوله: "وأحمى المكان: جعله حِمًى لا يُقربُ وكانت الملوك تحمي موضعا فلا يدخلُه أحد. وأوله من فعله، كما قال العسكري، النعمان ابن المنذر ملك الحيرة"[10].
- **الدخول في المكان والزمان**: ومعناه دخول الفاعل في زمان أو مكان ما اشتق منه الفعل، كأشأم وأعرق وأصبح وأمسى، أي: دخل في الشام والعراق والصباح والمساء[11]. ومثاله عند الإفراني قوله:" يقال: أحرم الرجل، إذا دخل في الحرم"[12].
- **التعدية**: وهي "تصيير الفاعل بالهمزة مفعولا، كأقمتُ زيداً، وأقعدتُه، وأقرأته. الأصل: قام زيد وقعد وقرأ"[13]. ومثال ذلك عند الإفراني نــفِدَ بمعنى فني، وأنفده: أفناه[14]، وهذا يعني

أن الفعل"نفد" لازم، ولكنه أصبح متعديا بزيادة الهمزة، فنقول: نفذ الشيءُ(الشيء: فاعل مرفوع)، وأنفذتُ الشيءَ(الشيء: مفعول به منصوب).

2. دلالة صيغة تفاعل: لهذه الصيغة عدة دلالات منها المشاركة والتدرج والمطاوعة والادعاء أو التظاهر[15]. وقد أشار الإفراني في المسلك السهل إلى دلالة واحدة وهي المشاركة، فقال: "وتشاكوا: شكا بعضهم إلى بعض"[16]، وفي قوله: "شكا بعضهم إلى بعض" دليل على أنّ الفعل كان من الطرفين، وأنّه يرى أنّ صيغة التفاعل دلت هنا على المشاركة، وإن لم يصرح بذلك، وقد قال سيبويه:" وأما تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدا...وذلك قولك: تضاربنا، وترامينا، وتقاتلنا"[17].

3. دلالة صيغة فعّل: لقد ذكر اللغويون عدة دلالات لهذه الصيغة، منها التعدية والتكثير والصيرورة والجعل والسلب والإزالة وغيرها[18]. وقد أشار الإفراني إلى دلالة التعدية في صيغة "فعّل" فقال: "ضرمت النار كفرحتْ: اشتعلت، وأضرمها وضرّمها واستضرمها: أوقدها"[19]، وما يهم هنا أنّ ضرّم على صيغة فعّل دلت على التعدية أي أنّ الفعل"ضرم" انتقل من اللزوم إلى التعدي، فنقول: ضرمتِ النارُ(النار: فاعل مرفوع)، وضرّمتُ النارَ(النار: مفعول به منصوب).

4. دلالة صيغة فاعَل: تعد المشاركة من أشهر دلالات صيغة فاعَل، والمشاركة تعني أنّ الفعل وقع من طرفين، فقد قال سيبويه: "إذا قلت فاعلته فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته، ومثل ذلك ضاربته، وفارقته، وكارمته"[20]. ومثال ذلك عند الإفراني قوله: "وطارحتني: أي شكت إلي بما أشكو إليها"[21]، فطارح على وزن: فاعَل دل على أنّ الفعل وقع من المتكلم ومن الغائبة، فكل واحد منها طارح الآخر.

5. دلالة صيغة استفعل: لهذه الصيغة عدة دلالات منها الطلب والصيرورة أو التحول من حال إلى حال، والمصادفة والإصابة، كما تأتي بمعاني صيغ أخرى[22]. وقد أشار الإفراني إلى دلالة استفعل على الطلب فقال"استملاه: سأله الإملاء"[23]، فاستملى على وزن: استفعل دل على أن الزيادة (استـ) دلت على الطلب، أي طلب الإملاء.

المسألة الثانية: الجمع ودلالته

لقد تعرض الإفراني إلى بعض المسائل المرتبطة بالجمع ومنها:

1. **دلالة الجمع على التعظيم والتكثير** : قال الإفراني في شرح قول ابن سهل:

يا بدورا أفلتْ يوم النوى.....غُررا تسلُك في نهج الغَرر

"نكتة ندائه الحرص على إقبال المخاطب وإحضار ذهنه لفهم ما يلقى عليه...وعبّر بصيغة الجمع للتعظيم فهو من باب "قال رب ارجعون"(**المومنون**:**99**)"[24]. وقد أكد الزمخشري في الكشاف وهو يفسر قوله تعالى: "قال رب ارجعون" أن خطاب الواحد بلفظ الجمع يكون للتعظيم كقول الشاعر:

ألا فارحمونى يا إله محمّد[25]

وهناك من يرى أنّ مخاطبة الواحد بخطاب الجمع يكون على تكرير اللفظ[26]، فكأنه قال في الآية: ارجعني ارجعني ارجعني، وقال في البيت: ارحمني ارحمني ارحمني. وعلى هذا يمكن القول إنّ بدورا في بيت ابن سهل دلت على تكرير اللفظ فكأنه قال: يابدرًا يا بدرًا يابدرًا، وفي ذلك تعظيم وإجلال للمخاطب وهو المحبوبة. وإذا كان التعبير بالجمع بدل المفرد يدل على التعظيم فإنه في سياقات أخرى يدل على التكثير كما في قول ابن سهل:

مَن إذا أُمْلي عليه حُرَقي.....طارحتني مُقْلتاهُ الدَّنَفا

فقد قال الإفراني: إنّ الحُرق: جمع حُرقة كغرفة وغرف، وقد عبّر بالجمع بدل المفرد "بقصد الدلالة على التكثير"[27]. وعند التحقيق يمكن القول إنّ التكثير تعظيم كذلك، فالشاعر عبر بالحُرق بدل الحرقة؛ ليبين للمحبوبة كثرة معاناته في حبها وفي ذلك تعظيم لهذه المعاناة.

2. **دلالة جمع المؤنث السالم**: قال الإفراني في شرح قول ابن سهل:

أجتني اللذات مكلومَ الجوى.....والتداني من حبيبي بالفِكَـــــرْ

إنّ الشاعر جمع اللذات إشارة إلى كثرتها، ثم اعترض على نفسه بطريقة التجريد فقال: " فإن قلتَ: جمع السلامة من جموع القلة عند الإمام، فكيف عبر به ولم يعبر بما هو من جموع الكثرة؟ قلتُ: بمثل الذي أوردتَه اعترض النابغة على حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله:

لنا الجفنات الغُر يلمعن بالضحى.....وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقال له: يا فتى قلّلت جفانك....ووقع الجواب عن الاعتراض، كما قال الشيخ ياسين في حواشي الخلاصة، فإن جمع السلامة للقلة ما لم يُضف، أو تدخل عليه(ال)، فيصير للكثرة"[28]. ولكن الإفراني لا يقتنع بهذا الجواب فقال: "وعندي في هذا الجواب نظر! فإنّ كون جمع السلامة إذا دخلت عليه (ال) يصير للكثرة، يردّه أنه لو كان كذلك، ما اعترض النابغة على حسان، أو لانتصر حسان لنفسه، كيف وقد قيل إنه لما اعترض عليه سكت ولم يجد جوابًا، فإن كان ما ذكر من الجواب أُخذ من تتبع كلام العرب، فهذان فحلان من فحولهم لم يفهما ذلك، مع أنّ مثله، لوكان، سليقةٌ فيهم. وإن كان باصطلاح حدث فلا عبرة به مع هذا"[29]. ويظهر من خلال هذا النص أنّ الإفراني يُقر بصحة ما قاله النابغة في اعتراضه على حسان، ولكن كتب النحو واللغة تؤكد أنّ جمع المؤنث السالم يكون للكثرة كذلك، فقد قال سيبويه: إنّ العرب تجمع بالتاء وتريد الكثير، واستشهد ببيت حسان، وقال: إنه لم يرد أدنى العدد أي القلة[30]، وهذا يؤكد أنّ جمع المؤنث السالم يدل على الكثرة رغم أن الأصل فيه

الدلالة على القلة، وقد أكد غير واحد من العلماء على ذلك فقد قال أبوبكر الأنباري: " وأما الألفُ والتاءُ فإنها علامةٌ لجمع المؤنث بمنزلة الواو والنون للمذكر وتكون للجمع القليل...وربما كانت في الجمع الكثير"[31]. واستشهد على ذلك ببيت حسان.

وهناك من شكك في قصة النابغة مع حسان فقد قال أبوالبركات الأنباري: "وهذا - عندي- ليس صحيح؛ لأنَّ هذا الجمع يجيء للكثرة، كما يجيء للقلة؛ قال الله تعالى: (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ)(سبأ:**37**) والمراد به الكثرة لا القلة، والذي يدلّ على ذلك: أنه جمع صحيح، فصار بمنزلة قولهم: "الزيدون، والعمرون" (وكما أنّ قولهم: الزيدون، والعمرون) يكون للكثرة والقلة، فكذلك هذا الجمع، وأمّا ما روى النابغة وحسان، فقد كان أبو علي الفارسي يقدح فيه، ولو صح، فيحتمل أن يكون النابغة قصد ذكر شيءٍ يدفع عنه ملامة حسان، ويعارضها في الحال"[32]. ويظهر من خلال هذا النص أن جمع المؤنث السالم يدل على القلة والكثرة، ويتأكد ذلك باستقراء القرآن الكريم، ومن ذلك الآية التي استشهد بها أبو البركات الأنباري.

3. استعمال الجمع مكان المثنى:

تطرق الإفراني إلى مسألة استعمال الجمع مكان المثنى وهو يناقش مسألة تثنية أعضاء الإنسان المفردة كالقلب واللسان، ونقل رأيين فيها، فابن مالك يرى أن الإفراد أولى من التثنية، ويرى الفراء أن الجمع أولى من غيره[33]. وعند البحث في كتب النحو نجد أن النحاة قد تطرقوا إلى هذه المسألة، وأكدوا أنه يجوز أن تجعل الاثنين على لفظ الجمع إذا كانا متصلين كقولك "ما أحسن رؤوسهما" أما في غير المتصل فهو قليل[34].

وقال ابن يعيش إنّ في ضم العضو الواحد من الجسد إلى مثله ثلاثة أوجه[35]:

- الجمع وهو الأكثر، مثل: "ما أحسن رؤوسهما! " قال الله تعالى: (إنّ تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما)(**التحريم:4**).

- التثنية على الأصل وظاهر اللفظ، نحو قولك: "ما أحسن رأسيهما وأسلم قلبيهما".
- الإفراد، نحو قولك: "ما أحسن رأسهما! " و"ضربت ظهر الزيدين".

أما أعضاء الجسد المتعددة كاليد والرجل "فإنك إذا ضممته إلى مثله، لم يكن فيه إلا التثنية، نحو: "ما أبسط يديهما، وأخف رجليهما! " لا يجوز غير ذلك"[36]. ومنه فإن المنفصل عن الجسد أولى بالثنية دون الجمع أو الإفراد، وما سُمع من غير ذلك فهو قليل، فقد قال ابن يعيش عن قولهم "وضعا رحالهما": " كأنهم شبهوا المنفصل بالمتصل، وهو قليل"[37].

المبحث الثاني: المسائل المعجمية في المسلك السهل

المسألة الأولى: الترادف والفروق اللغوية في المسلك السهل

الترادف هو "اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق"[38]. أي: أن يشترك لفظان أو أكثر في المعنى مثل عام وسنة وحول. وقد اختلف العلماء حول وجود الترادف في اللغة بين مثبت ومنكر، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاختلاف لا يتعلق بالترادف الذي يقصد به تقارب الدلالة، بل الاختلاف كان حول الترادف بمعنى التطابق الدلالي التام بين الكلمتين، ولذلك سعى المنكرون إلى إثبات الفروق بين الكلمات المترادفة، كما نجد عند أبي هلال العسكري. وقد كان الإفراني من المثبتين للترادف في اللغة، ولكنه في الوقت نفسه كان يشير إلى الفروق اللغوية بين بعض الكلمات المتقاربة، وأمثلة ذلك كثيرة منها:

1. الحسن والجمال: شرح الإفراني الحسن بالجمال، ثم قال: "صريح كلامه في القاموس أن الجمال والحسن مترادفان؛ لأنه قال في الحسن، ما سلف، وفي الجمال: الحسن في الخُلق والخَلق. والذي قيدته عن بعض مشايخي أن الحسن في الذات، والجمال في الشمائل والأخلاق، والله أعلم"[39]. ويظهر أن الإفراني يرى أن الحُسن مادي وأن الجمال معنوي، وهذا ما تؤكده بعض كتب اللغة فقد جاء في الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري أن "الحسن في الأصل: الصورة

ثم استعمل في الأفعال، والأخلاق، والجمال في الأصل: للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة ثم استعمل في الصور"[40].

2. القلب والفؤاد: شرح الإفراني القلب بالفؤاد، وقال أو أخص منه[41]، ولكنه لم يشرح ذلك، ولم يشر إلى وجه هذه الخصوصية. وشرح الفؤاد بالقلب وقال: "هو ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة، والجمع: أفئدة"[42]. وعند البحث في كتب اللغة والمعاجم نجد أن هناك من يجعل القلب والفؤاد مترادفين، وأن الأكثر على التفرقة كما جاء في تاج العروس، فالقلب: "مضغة في الفؤاد، معلقة بالنياط....وقيل: الفؤاد: وعاء القلب، أو داخله، أو غشاؤه، والقلب حبته...وقيل: القلب أخص من الفؤاد، ومنه حديث: (أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبًا، وألين أفئدة) فوصف القلوب بالرقة، والأفئدة باللين"[43].

3. الانبجاس الانفجار: قال الإفراني: "فإن قيل: لـمَ قال الله تعالى في آية: فانبجست (**الأعراف**:**160**)، وفي آية: فانفجرت (**البقرة**:**60**)، فالجواب ما قاله الفخر الرازي، أن الانبجاس أضيق من الانفجار؛ لأنه يكون أولا، والانفجار ثانيا، وقيل: هما بمعنى واحد"[44]. وعند البحث عن كلام الرازي نجده يقول في المفاتيح: " فانبجس الماء وانبجاسه انفجاره...هذا قول أهل اللغة...وقال آخرون: الانبجاس: خروج الماء بقلة، والانفجار: خروجه بكثرة، وطريق الجمع: أن الماء ابتدأ بالخروج قليلًا، ثم صار كثيرًا"[45]. وتشرح المعاجم العربية الانبجاس بالانفجار فقد جاء في الصحاح: " بَجَسْتُ الماء فانْبَجَسَ، أي: فجَّرته فانفجر"[46]. وقال أبو حيان:" قيل: هما سواء، انفجر وانبجس وانشق مترادفات. وقيل: بينهما فرق، وهو أن الانبجاس: هو أول خروج الماء، والانفجار: اتساعه وكثرته. وقيل: الانبجاس: خروجه من الصلب، والانفجار: خروجه من اللين. وقيل: الانبجاس هو الرشح، والانفجار هو السيلان، وظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد"[47]. ويؤكد الراغب الأصفهاني على التقارب الدلالي بين الانبجاس والانفجار مبينا الفرق بينهما فقال: "الانبجاس: يقارب

الانفجار، إلا أن الانبجاس لا يكون إلا واسعاً، والانفجار: يستعمل في الضيق والواسع، فكلُّ انبجاسٍ: انفجار، وليس كل انفجار انبجاساً"[48].

المسألة الثانية: المشترك اللفظي

المشترك اللفظي هو اللفظ الدال على معنيين مختلفين أو معان مختلفة، وقد ذكر السيوطي: "بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[49]، ومن أمثلته[50]: العمُّ: أخو الأب والعمُّ: الجمعُ الكثير. والنوى: الدار والنية و البعد. والخال : أخو الأم، والمكان الخالي، والشامة في الوجه. وقد أشار الإفراني إلى المشترك اللفظي في مواضع قليلة منها:

- **العين**: شرح الإفراني العين بالجارحة أي: العضو الباصر في قول ابن سهل:

ما لقلبي في الهوى ذنبٌ سوى.....منكم الحسنُ ومن عيني النظر

وقال: إنها مشتركة بين معان[51]، ولكنه لم يذكر هذه الدلالات بل اكتفى بالإشارة إلى أن العين من المشترك اللفظي، وعند البحث في المعاجم نجد أن العين تدل على العديد من الدلالات منها حسب ما جاء في الصحاح: العين: حاسة الرؤية، وعين الماء، وعين الركبة، وعين الشمس، والدينار، والجاسوس، والسيد والشريف في قومه، وعين الشيء نفسه، والعين: حرف من حروف المعجم[52].

- **العَدل**: قال الإفراني: " والعَدل: ضد الجور، وأصله الميل عن سواء الطريق...والعَدل: المِثل، ومنه: "اللّٰهُمَّ لا عَدل لك"، والفداء، ومنه: لم يقبل الله منه صرفًا ولا عَدلًا، أي: فداء"[53] ويظهر من خلال هذا النص أن العَدل من المشترك اللفظي إذ له ثلاث دلالات. وعند العودة إلى المعاجم العربية نجدها تذكر هذه الدلالات كما جاء في صحاح الجوهري[54] ومقاييس ابن فارس[55].

- **الثغر**: ذكر الإفراني معنيين للثغر فقال: "والثغر، بالثاء المثلثة في أوله، قال في القاموس: "الفم والأسنان، أو مُقدَمُها، أو ما دامت في منابتها".... والثغر أيضا: ما يلي دار الحرب، وموضع المخافة من فروج البلدان"[56]. وجاء في الصحاح: " الثغر: ما تقدم من الأسنان...والثغر أيضا: موضع المخافة من فروج البلدان"[57]. ويؤكد ابن فارس في المقاييس أن "الثاء والغين والراء أصل واحد يدل على تفتح وانفراج"[58]، وذلك يكون في الأسنان كما يكون في حدود البلدان.
- **العارض**: ذكر الإفراني للعارض عدة دلالات فقال: " العارض: السحاب المعترض في الأفق، وصفحة الخد، والعارض من الوجه: ما يبدو عند الضحك، والعارض: العذار"[59]. وتؤكد معاجم اللغة أن العارض من المشترك اللفظي، فتذكر له أكثر من دلالة، فقد جاء في تهذيب اللغة أن العوارض هي الثنايا أو الأسنان التي بعد الثنايا، أو الأضراس، أو ما بين الثنية إلى الضرس، أو ما يبدو منه عند الضحك[60]. وجاء في شمس العلوم أن العارض هو السحاب الذي يستقبلك، وكل ما استقبلك فهو عارض. وهو الناب والخد، والعارضان: شقا الفم[61]. أما العارض بمعنى العذار فيظهر أنه سمي كذلك؛ لأنهما يشتركان في الموضع، فمن دلالات العارض أنه صفحة الخد، والعذار سمة تكون في الخد طولًا، ولذلك سمي اللجام عذارا، فقد جاء في المقاييس أن "العذار: عذار اللجام. قال: وما كان على الخدين من كي أو كدح طولًا فهو عذار"[62].

المسألة الثالثة: المثلثات اللغوية

المثلث حسب ابن السيد البطليوسي هو: "ما اتفقت أوزانه وتعادلت أقسامه، ولم يختلف إلا بحركة فائه فقط كالغَمر والغِمر والغُمر، أو بحركة عينه كالرَّجَل والرَّجِل والرَّجُل، أو كانت فيه ضمتان تقابلان فتحتين وكسرتين كالسَّمسَم السِّمسِم والسُّمسُم"[63]. وقد ذكر الإفراني أن القطر من المثلث فقال: " القَطر: السحاب، من قطر....وبفتح القاف وضمها: الناحية

والشق، وبكسرها: النحاس: "آتوني أفرغ عليه قطرا"(**الكهف:96**). وقيل هو الرصاص، قاله الجلال السيوطي"[64]. وقد جاءت هذه الدلالات في المعاجم العربية إلا أنها لا تشرح القَطر بالسحاب بل بالمطر والماء وغير ذلك، فقد جاء في الصحاح: "القَطْرُ: المطرُ. والقَطْرُ: جمع قَطرَةٍ"[65]، وفي المقاييس: "القَطْرُ: قَطْرُ الْمَاءِ وَغَيْرِهِ"[66]. أما القُطر بالضم فتشرحه المعاجم بالناحية والجانب، والجمع: الأقْطارُ، كما تشرحه بالعود الذى يتبخر به[67]. وتشرح القِطر بالكسر بالنُّحاسُ كما في المقاييس[68]، وبالنحاس الذائب كما في القاموس[69]. وذكر ابن مالك القطر من المثلثات في إكمال الإعلام بتثليث الكلام مشيرا إلى هذه الدلالات السابقة[70].

المبحث الثالث: مسائل متفرقة

1. دلالة حروف المعاني:

المقصود بحروف المعاني تلك الحروف المقابلة لحروف المباني، أي حروف الهجاء فحرف المعنى في الاصطلاح هو: ما "جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"[71]، وحروف المعاني "قليلة؛ لأنّها أدوات تدخل على الأسماء والأفعال... منها: ما يخص الأسماء كحرف الجر، ومنها: ما يخص الأفعال كسَوْف، ومنها ما يشتركان فيه كألف الاستفهام، ومنها: ما ينفرد بمعنى كـــ"يا"، ومنها ما يشارك غيره في معناه، وهو الغالب عليها"[72]. وقد تعرض الإفراني في المسلك السهل لدلالة بعض حروف المعاني ومنها:

- **في بمعنى على**: "في" حرف جر له عدة معان، أشهرها الظرفية"[73]. وقد تنوب عن بعض حروف الجر، ومثال ذلك عند الإفراني قوله في شرح هذا البيت:

وأنا أشكرُه فيما بقي.....لستُ ألحاهُ على ما أتْلفا

إنّ "في : حرف جر، وهي هنا بمعنى(على)، ويأتي فيه من الخلاف ما أتى في نظيره وهو قوله تعالى: (في جذوع النخل)(**طه:71**)"[74]، فالمعنى: أنّ الشاعر يشكر المحبوبة على ما بقي.

- **دلالة الفاء**: الفاء تكون عاطفة وناصبة، وقال الإفراني في شرحه لبيت ابن سهل:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمـــى..... قلبَ صبٍّ حلّهُ عن مَكْنَـــــسِ

فهو في حر وخـفـــق مثلمـــا..... لعبت ريح الصبـــا بالقبس

إنّ الفاء في "فهو" عاطفة "ولها معان، منها: التعقيب، أن يكون المعطوف بها متصلا بلا مهلة....وليس التعقيب بلائق هنا. ومنها السببية، وهو أكثر ما تقتضيه الفاء، وهو الموافق لها في البيت، أي: هو بسبب حَمِيةِ قلبه في حر وخفق"[75].

- **دلالة إذا**: قال الإفراني في شرح بيت ابن سهل:

وإذا أشكو بوَجْدي بَسَما..... كالربى والعارضِ المُنْبَجسِ

إنّ الشاعر أتى بإذا للإشعار"بقصد الاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلة، فإن(إذا) يُقصد بها الدلالة على ذلك، ومنه: "وإذا لقوا الذين آمنوا...وإذا خلوا" (**البقرة:14**)، أي هذا شأنهم....فمراده أن شأنه مع حبيبه ما وصفه، فهما كذلك دائما"[76].

- **دلالة مِن**: تتعدد دلالات "من" حسب السياق الذي ترد فيه، فهي قد تأتي للتبعيض ولبيان الجنس والابتداء في المكان والزمان، وقد دلت على التبعيض في قول ابن سهل:

تَرَكتْ أجفانُه من رمقي.....أَثَرَ النَّمل على صُم الصَّفا

فقد قال الإفراني إنّ الشاعر "أتى بمن التبعيضية إيذانًا بقلة المتروك"[77] أي أن الشاعر لم يبق منه شيء إلا القليل من شدة ولعه بالمحبوب.

2. دلالة التقديم والتأخير

لقد ذكرت كتب النحو والبلاغة عدة دلالات للتقديم والتأخير أشهرها الاهتمام والعناية والحصر والتخصيص والتشويق إلى المتأخر وتقوية الحكم وتقريره والتفاؤل والتشاؤم وغير ذلك[78]. وقد ذكر الإفراني دلالة التقديم والتأخير على تقوية الحكم في قول ابن سهل:

وأنا أشكرُه فيما بقي..... لستُ ألحاهُ على ما أتْلفا

فتقديم المسند إليه على المسند قد يكون للتخصيص أو لمجرد "تقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع نحو: هو يعطي الجزيل قصدًا إلى أن تُقرر في ذهن السامع وتُحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل، لا أن غيره لا يفعل ذلك" [79]. وقد أكد الإفراني أن تقديم المسند إليه (أنا) على المسند(أشكره) الغرض منه هو مجرد تقوية الحكم وتثبيته في الأسماع فليس الغرض أنه يشكره وحده، وقال إنه يجوز الدلالة على التخصيص من جهة أن فعل المحبوب به لا يستدعي شكرًا إلا منه[80]. وقال في شرح بيت ابن سهل:

أيها السائل عن جُرمي لديه.....لي جزاء الذنب وهو المذنبُ

إنّ الشاعر "قدم الخبر في (لي) رعاية للاختصاص والحصر" [81] أي أن الجزاء لي وحدي دون سواي.

3. دلالة الفعل المضارع

ذكر الإفراني في مواضع كثيرة أن المضارع يدل على الاستمرارية والدوام، ففي شرحه لقول ابن سهل:

أجتني اللذات مكلومَ الجوى.....والتداني من حبيبي بالفِكَـــرْ

قال: إنّ الشاعر "عبّر بالمضارع في (أجتني) قصدا للدلالة على الاستمرار والدوام"[82]. وقال في شرحه:

يُنبِتُ الوردَ بغرسي كلما.....لَحَظْتْهُ مُقلتي في الخَلس

"عبر بالمضارع في (ينبت) قصد الاستمرار والتجدد حينا فحينا. وأكد ذلك بلفظه(كلما) الموضوعة لاستغراق الأحايين، وعموم الأوقات"[83].

4. دلالة التنكير:

هناك العديد من الدلالات للتنكير، ومنها: إرادة الواحد، وإرادة الجنس، والتعظيم، والتهويل، والتكثير، والتقليل، والتخصيص والتحقير، والتجاهل والاستهزاء[84]. وقد أشار الإفراني إلى دلالة التنكير على التفخيم والتعظيم، ففي شرحه لبيت ابن سهل:

إذ يقيم القَطرُ فيه مأتما.....وهي من بهجتها في عُرُس

قال إنّ الشاعر "نكر(مأتما) لقصد تفخيم الحال"[85]، فهو مأتم فخم عظيم، وقال في شرح قول ابن سهل:

ما عَلِمْنا قبل ثغرٍ نَضّدَهُ .....أُقحوانا عُصرت منه رحيق

إنّ الشاعر نكّر (ثغر) للتعظيم [86]، فالمعنى أنه يتعجب ويعظم هذا الثغر المتناسق الذي يشبه أقحوان تعصر منه الخمر، فالشاعر شبه الثغر بالأقحوان وريق الثغر بالرحيق أي الخمر[87]. ويدل التنكير كذلك على العموم إذا كان بعد النفي، وهذا ما أشار إليه الإفراني وهو يشرح قول ابن سهل:

ما لقلبي في الهوى ذنبٌ سوى.....منكم الحسنُ ومن عيني النظر

فقد قال إنّ الشاعر:"نكّر الذنب، وأتى به بعد النفي؛ لإفادة انتفاء كل نوع من أنواع الذنب. فإن النكرة في سياق النفي تعم"[88]. وقال في شرح قول ابن سهل:

ليس لي في الأمر حُكْمٌ بعدما.....حَلّ في النّفس محلّ النفسِ

إنّ الشاعر"نكّر(حكم)، وأتى به بعد النفي قصدًا للعموم وإشعارًا بأن الحيل كلها نفذت، وأبواب النجاة كلها سُدت؛ لأن النكرة في سياق النفي كلها تَعُمُّ"[89].

خاتمة

يظهر من خلال هذه الصفحات غنى المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل بالمسائل اللغوية التي تشمل الصرف والنحو والمعجم. وقد تعرض الإفراني لهذه المسائل بمنهجية متشابهة، فهو في الغالب يكتفي بالإشارة إلى المسألة دون تحريرها ودراستها دراسة وافية، ودون تقديم الأدلة المناسبة إذا تعلق الأمر بقضية خلافية، إذ يكتفي بطرح الآراء المختلفة حول المسألة. وقد يتوسع في بعض الحالات في شرح المسألة مستعينًا بكلام من سبقه من العلماء. وإذا كان الإفراني ينقل ممن سبقه، فهذا لا يعني أنه لم يقدم أي رأي حول المسائل اللغوية التي يثيرها، بل كانت شخصيته ظاهرة من خلال اعتراضه على بعض الآراء وموافقته لأخرى، وفي هذا تأكيد على مكانة الرجل اللغوية بشكل عام.

الهوامش

(1) – ينظر: الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت. ط15، 2002م. ج7، ص 67

(2) – ينظر المرجع نفسه، ص نفسها

(3) – ينظر: الإفراني، محمد، المسلك السهل في توشيح ابن سهل، تح: محمد العمري، مكتبة فضالة، المحمدية، المغرب، 1997م، ص57

(4) – قباوة، فخر الدين. منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، دار الفكر المعاصر، 1997م، ص90

(5) – ينظر: المرجع نفسه، ص90

(6) – ينظر: الترغي عبد الله، الشروح الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، مكتبة دار الأمان، الرباط، 2005م، ص 207 – 208

(7) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص373

(8) – ينظر: الحملاوي، أحمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف، تح: نصر الله عبد الرحمن، مكتبة الرشد الرياض، دت، دط، ص29

(9) – المرجع نفسه، ص30

(10) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص154

(11) – ينظر الحملاوي، شذا العرف، ص 30

(12) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص388

(13) – الحملاوي، شذا العرف، ص29

(14) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص398

(15) – ينظر: الحملاوي، شذا العرف، ص 34

(16) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص268

(17) – سيبويه، أبو بشر عمرو، الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ج4، ص 69

(18) – ينظر: الحملاوي، شذا العرف، ص31

(19) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص401

(20) – سيبويه، الكتاب، ج1، ص 64

(21) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص240

(22) – ينظر:الحملاوي، شذا العرف، ص 35

(23) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص240

(24) – ينظر: المرجع نفسه، ص186

(25) – الزمخشري أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي–بيروت، ط3، 1407 هـ، ج3، ص202

(26) – ينظر: الحميري نشوان، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت، لبنان)، دار الفكر (دمشق، سورية)، ط1، 1999 م. ج4– ص2434

(27) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص248

(28) – ينظر: المرجع نفسه، ص205– 206

(29) – ينظر: المرجع نفسه، ص206

(30) – ينظر: سيبويه، الكتاب، ج3، ص578

(31) – الأنباري أبو بكر، المذكر والمؤنث. تح: محمد عبد الخالق عضيمة. إحياء التراث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف، مصر، ط1، 1981م، ج1، ص203

(32) – ينظر: الأنباري، أبو البركات، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1999م، ص 250

(33) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص255

(34) – ينظر: الزمخشري، جار الله، المفصل في صنعة الإعراب، تح: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م، ص233

(35) – ينظر: ابن يعيش، محمد بن علي، شرح المفصل للزمخشري، قدم له:إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ج3، ص210 ومابعدها

(36) – المرجع نفسه، ج3، ص 212

(37) – المرجع نفسه، ج3، ص 209

(38) – سيبويه، الكتاب، ج1، ص24

(39) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص195

(40) – العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية. تح: محمد إبراهيم سليم. دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت، ص 262

(41) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص154

(42) – المرجع نفسه، ص330

(43) – الزبيدي، مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دت، ج8، ص 477

(44) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص213

(45) – الرازي فخر الدين، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، ط3، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420هـ، ج15، ص388

(46) – الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م. ج3، ص907

(47) – أبوحيان، الأندلسي. البحر المحيط في التفسير. تح: صدقي محمد جميل. دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج1، ص369

(48) – الأصفهانى الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني. تح: محمد عبد العزيز بسيوني. كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1، 1999م، ج1، ص 207

(49) – السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج 1، ص292

(50) – ينظر: المرجع نفسه،ج1، ص 293 وما بعدها

(51) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص195

(52) – ينظر:الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، ص2170 وما بعدها

(53) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص285

(54) – الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، ص1760

(55) – ابن فارس أحمد، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1979م، ج4، ص247.

(56) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص313

(57) – الجوهري، الصحاح، ج2، ص605

(58) – ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص378

(59) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص211

(60) – الأزهري أبو منصور، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص296

(61) – الحميري نشوان، شمس العلوم، ج7، ص4468

(62) – ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص255

(63) – البطليوسي ابن السيد، المثلث، تح: صلاح الفرطوسي، وزارة الثقافة، سلسلة كتب التراث: 111، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م، ص298

(64) – ينظر: الإفراني، المسلك السهل، ص225

(65) – الجوهري، الصحاح، ج2، ص795

(66) – ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص106

(67) – ينظر:الجوهري، الصحاح، ج2، ص795

(68) – ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص 106

(69) – ينظر: الفيروزآبادى، مجد الدين، القاموس المحيط، تح: مكتب تح التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص463

(70) – ينظر: ابن مالك، جمال الدين الجياني، إكمال الإعلام بتثليث الكلام، تح: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة السعودية، ط1، 1984م، ج2، ص520

(71) – سيبويه، الكتاب، ج1، ص12

(72) – ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، البديع في علم العربية، تح: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420ه، ج2، ص414

(73) – المرادي، أبو محمد بدر الدين، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص 250

(74) – الإفراني، المسلك السهل، ص282

(75) – الإفراني، المسلك السهل، ص139

(76) – الإفراني، المسلك السهل، ص217

(77) – الإفراني، المسلك السهل، ص255

(78) – ينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000م، ج1، ص150

(79) – الإفراني، المسلك السهل، ص275

(80) – ينظر: المرجع نفسه، ص275

(81) – المرجع نفسه، ص363

(82) – المرجع نفسه، ص205

(83) – المرجع نفسه، ص384

(84) – ينظر تفصيل ذلك: السامرائي فاضل ، معاني النحو، ج1، ص40-41

(85) – الإفراني، المسلك السهل، ص233

(86) – ينظر: المرجع نفسه، ص320

(87) – ينظر: المرجع نفسه، ص317

(88) – المرجع نفسه، ص199

(89) – المرجع نفسه، ص303